مجموع مؤلفات ابن سعدي (٢)

قطعة من

مختصر التفسير

تأليف
الشيخ العلامة
عبد الرحمن بن ناصر السعدي
رحمه الله

يطبع لأول مرة



الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فقد تكرر علي الطلب من كثيرٍ من إخواني في وضع تفسيرٍ مختصرٍ للقرآن، فأجبتهم بأن التفسير المختصر لا يحصل به كمال المقصود، وبأن التفاسير المختصرة كثيرةٌ تغني من كان جُلُّ قصده حل معاني الألفاظ ومفرداتها، فألحوا مع هذا الاعتذار، فاعتمدتُ على الله في وضع تفسيرٍ مختصرٍ مختصٍّ بمعاني الكلام، خالٍ من تفسير المفردات، ومن تعديد القراءات، ومن الاصطلاحات اللغوية، والأساليب العربية، إلا إذا اقتضى بيانُ المعنى شيئًا من ذلك؛ فأقول مستعينًا بالله:

مقدمة في ضوابط نافعة

- ينبغي لمن أراد فهم كلام الله فهمًا صحيحًا أن يتدبره تدبرًا صادقًا، ويتفهم ما دل عليه من المعاني، ويطبقها على الواقع، فلا يراعي خصوص الأسباب التي نزلت الآيات بسببها، أو قيل: إنها نزلت بسببها، بل يراعي عموم معنى الكلام، ويعلم أن السبب إذا ثبت فإنه جزءٌ وفردٌ من أفراد ذلك المعنى الذي دل عليه الكلام، وكذلك الأقوال التي يقولها المفسرون إذا تعددت فإن البصير بإمكانه أن يجعل جميعها داخلة في المعنى ومرادةً منه حيث احتملها اللفظ، ولا ينبغي له أن يحملها على التباين والتخالف، فكم ذُكِرَ في كثيرٍ من الآيات أقوالٌ متعددةٌ ومرجعها في الحقيقة كلها إلى المعنى العام.

- وإذا رتب الله على معنى من المعاني حكمًا كان ثبوت ذلك الحكم وكماله ونقصه بحسب قيام ذلك المعنى في العامل، مثال ذلك: الآثار العاجلة والآجلة التي رتبها الله على أوصاف الإيمان أو الإسلام أو الإحسان أو التقوى أو البر أو الصبر أو الخوف والرجاء أو الصدق أو الخشوع أو الصلاة والصيام والإنفاق وغيرها، إذا كَمُلَ قيام العبد بها تَمَّ له الثواب، وإذا نقص نقص. وضد ذلك أوصاف الكفر والنفاق والكذب والخيانة والظلم ونحوها آثارها وعقوباتها بحسب ما قام بالعبد منها.

- إذا دخلت (أل) على أسماء الأجناس كالإنسان والإنس والجن ونحوها، أو دخلت على الأوصاف كالبر والتقوى والخير والصدق والإحسان والعدل والظلم ونحوها، فإنها تفيد العموم؛ عموم الأشخاص أو عموم الأوصاف.

- والمفرد إذا أضيف يفيد العموم كما يفيده الجمع المضاف، وكذلك النكرات إذا جاءت بعد النفي أو النهي أو الاستفهام أو الشرط.

- إذا أمر الله بشيءٍ كان أمرًا به وبما لا يتم إلا به، وإذا نهى عن شيءٍ كان نهيًا عن جميع وسائله وتوابعه، وإذا أخبر بشيءٍ يستلزم وجود أسباب ووسائل قبله كان خبرًا به وبوسائله.

فاعتبر هذه الضوابط الجامعة التي لا تخلو كل سورة من القرآن من كثيرٍ منها، واعلم أن المفسرين اصطلحوا على أن السور التي نزلت - كلها أو معظمها - قبل الهجرة تسمى مكية، وغالبها في تقرير الأصول، والسور التي نزلت - كلها أو معظمها - بعد الهجرة تسمى مدنية، وفيها تقرير الأصول أيضًا وكثيرٌ من الفروع كما ستراه، والله أعلم.

[مختصر تفسير سورة الفاتحة]

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ① ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾

هذه السورة مكية، وهي فاتحة الكتاب وأم القرآن؛ لرجوع معاني القرآن كلها إليها على وجه التأصيل والإجمال، والبسملة آية من القرآن، وهي فاصلة بين كل سورتين، ومعناها: أبتدئ مستعينًا ومتبركًا بكل اسم لله، ذي الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وهو الموصوف بالرحمة العظيمة الواسعة، التي من آثارها خيرات الدنيا وخيرات الآخرة.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾: أي الثناء الكامل بصفات الكمال وكثرة النعم لله وحده.

﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾: الذي خلقهم ورزقهم ورباهم بنعمه الظاهرة والباطنة، وكل من سوى الله هم العالمون؛ من إنس وجن وملائكة وحيوانات ونباتات وجمادات، فالله رب الجميع، أعطى كل شيء منها خلقه اللائق به، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خُلِقَ له، ومع ربوبيته لهم فهو: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: الذي وسعت رحمته كل شيء، وخص المتقين بالرحمة الكاملة المثمرة للسعادة الأبدية، ومع أنه ربهم فإليه مصيرهم فهو: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾: وهو يوم القيامة، يوم كل أحد يدان بعمله؛ إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًا فشرٌّ، وخص يوم الدين مع أنه مالك الأيام كلها والخلائق كلها؛ لأنه في ذلك يظهر ملكه العظيم وعظمته الكاملة وتظهر آثار ملكه في جزاء العباد بأعمالهم، ويتساوى الخلائق كلهم بالخضوع لله والفقر الكامل، ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٩٣].

ولما كان الله قد خلق الجن والإنس ليعبدوه بكمال معرفته وعبادته قدَّم تعرُّفَه إلى عباده

بحمده والثناء عليه وتمجيده، ويترتب على هذا قيام المكلفين بعبادته والاستعانة به؛ فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

(١) هنا آخر ما وجد من مختصر التفسير يسر الله الحصول عليه كاملا.